



المسرح الغربي له خصوصياته

المسرح العربي.. ماذا أخذ من العولمة وماذا رفض؟

النقاد عاجزون الآن عن تحديد وجهة المسرح العربي



على المسرحيين العرب تخطي الإحساس بالهزيمة

المعارف في عصر العولمة أصبحت متاحة للجميع، وظهرت وسائط تكنولوجية متقدمة تنافس المسرح، وهو ما يجعله في حالة خصام مع هذه الوسائط التكنولوجية الجديدة.

إيجابيات العولمة في مجال المسرح هي انفتاح المسرح على العالم، الذي أصبح صغيراً ومؤمراً من خلال وسائل الاتصال

وبين الناقد هشام السالموني أن كثرة المعلومات والمعارف، التي تتيحها التكنولوجيا، ليست أمراً سيئاً، فهي أداة متاحة لكل البشرية ويجب الاستفادة منها، وهذا جزء يخلصنا نحن من غير أن نرفضه علينا أحد، إذ ينبغي أن تكون هذه المعلومات والمعارف سلاحاً في أيدينا نستفيد منه. والمشكلة أن هذه العولمة محملة بقيم رأسمالية في غاية الخطورة، ولا يبقى أماننا، في ظل الصراع الذي تفرضه العولمة، إلا الفن والمسرح والسعي للمواجهة بتقديم فنون جيدة تخصصنا كأمة عربية بعيداً عن الابتذال والتخريف. ولنسنا ضد التأثير بالعولمة، لكن مع الاستفادة من جوانبها الإيجابية. وطالب الدكتور سامح مهران، بضرورة الحفاظ على هويتنا العربية للفنون المسرحية بمصر، إلى أن المعلومات

عليه العلاقات الإنتاجية الرأسمالية، وأن هذا المسرح مطالب في رواجه بطرح أسئلة مصرية تنطق بالحكمة والشعر والأسطورة والتصوف والأيديولوجية والاقتصاد.

ندوات بلا إجابات

إذا تتبعنا الندوات والمناقشات التي رافقت عدداً من المهرجانات المسرحية المحلية والعربية والدولية، سنجد أن من أبرزها الندوة التي أقيمت خلال الدورة الثانية عشرة من مهرجان المسرح الأردني عام 2004، وكانت بعنوان "المسرح والعولمة". تلته ندوة بعنوان نفسه نظمتها الدورة الثانية للمنتقى الفن الرابع في مدينة الحامة بمحافظة قابس التونسية عام 2005، شارك فيها المخرجان توفيق الجبالي وصالح الجدي والشاعر منير هلال.

وفي عام 2006 نظمت دائرة الثقافة والإعلام في الشارقة ندوة علمية حول "الزمن الثالث: المسرح ومتغيرات الألفية"، قدم فيها باحثون عرب وأجانب أوراقاً بحثية جرى نشرها لاحقاً في كتاب أعده الدكتور يوسف عبداني (السودان)، تناولت العديد من القضايا، منها صراع الهوية والعولمة في المسرح، وهو الجانب الذي عرض له رامندو ماجومدار رئيس المركز الوطني للمسرح في بنغلاديش، فيما عرض الباحث والشاعر الإماراتي خالد البدر الموضوع نفسه مؤكداً أنه لا هوية من دون حرية، وحاول الكاتب المسرحي السوداني خالد المبارك استشراف آفاق قضية الصراع حول الهوية والعولمة في المسرح وإلى أين تسير؟

وعقد عدد من المسرحيين والنقاد في القاهرة عام 2008 ندوة على هامش المهرجان القومي للمسرح المصري بعنوان "المسرح في عصر العولمة"، ناقشوا خلالها تأثير العولمة ثقافياً على المسرح، والتحديات التي تواجهه، وقال الناقد محمد الشافعي إن المسرح والعولمة موضوع شائك لأن الجانب الثقافي للعولمة أخطر من الجوانب الأخرى.

وثمة العشرات من الخطابات الثقافية عبر الفضائيات والصحف التي تروج لفكر العولمة، وتبقى للمسرح خصوصية في تأثير العولمة عليه بوصفه العمود الفقري للتنمية الثقافية، حيث يتعرض حالياً للاضمحلال و منافسة الوسائط الثقافية الحديثة كالإنترنت والفضائيات والفيديو كليب، وهو ما يدعو إلى التساؤل: إلى أين يتجه المسرح العربي الآن؟

للتعاطي مع المسرح، وعلينا أن نكون مهيبين له أيضاً باستمرار. ولا يوجد، في رأي الحمدا، مكان لوهم يطلق عليه عولمة تلغي الخصوصيات والثقافات، كما لو أن هذه الخصوصيات والثقافات واحدة وثابتة ولا تتغير.

لكن الحمدا لا يفرق بين العولمة والعالمية حين يقول "لا مكان لإصرار على أن العالمية تنطلق من الخصوصية وتكرسها، وبالتالي تأخذنا النستولوجيا نحوها بشكل بكائي غير عادي، فالعالم الآن انفتح على بعضه وعرفنا أكثر من أي وقت مضى خبره وشهره، وصارت العولمة هي قارتنا، غرقتنا الكونية، ومن هذه الغرفة تتشكل رؤى المسرح والمسرحيين وتنطلق في أرجاء الكون". ويؤكد الناقد المسرحي المصري الراحل حسن عطية، في حوار أجري معه، أن العولمة تسعى إلى توحيد أفق التلقي بين المجتمعات الإنسانية في مجملها، غير أنها تعتمد، في سعيها هذا، على فكرة "تجاوز الثقافات" ما يعني إلغاء الثقافات الوطنية، ومحاولة إنشاء ثقافة واحدة "شمولية" لكل هذه المجتمعات الإنسانية.

ومن ثم فإن المطلوب، في رأيه، أن يتلقى العربي العمل الفني الواحد بأفق التلقي نفسه عند المواطن الأميركي، أي أن ينسى التلقي العربي ثقافته وتاريخه وعقائده، وأن يتعامل مع الثقافة العولمية بنفس المنظور المفروض علينا من الولايات المتحدة.

بالعودة إلى منطلقات الباحث في قضية العولمة، وفي الندوة الفكرية التي أقيمت في متحف الشارقة للفنون، على هامش أيام الشارقة المسرحية عام 1999، قدم الناقد المسرحي المغربي عبدالرحمن زيدان مداخلة بعنوان "الترويج للمسرح: المازق الدائم للمسرح العربي"

رأى فيها أن رواج المسرح العربي، وفق خصوصيات قومية محلية يجعل الهوية العربية محافظة على نبض المسرح العربي لمواجهة عولمة ترديد خنقه. وتحدث زيدان عن النجوم المحلية في السياق العالمي، موضحاً أن عليها التحصن بضوابط موضوعية تترك أن السياق العالمي الذي فيه مسرحها تهيمن

ينتهج الكثير من المسرحيين العرب التجريب على خطى المسرح الغربي، الذي عرف تحولات ثقافية وجمالية وفكرية عديدة، بينما لم يجد المسرح العربي طريقة لتحقيق خصوصيته، عدا الطرق الشكلية والسطحية، بينما في عمقه ما زال مرتبها لمسارح الغرب ومدارسها. وقد عمقت العولمة من انسياق المسرحيين العرب مع اتجاهات الغرب، كما راحت تحو البصمة التي حاول البعض من المسرحيين تحقيقها، إضافة إلى خلقها لثورة تكنولوجية جعلت المسرح في خطر جدي.

من العولمة في هذه المرحلة، التي أرى أن الكثير من المهتمين بالإبداع المسرحي لا يزالون في طور الاهتمام بالتجريب، وأنهم قد يتركون هذه المرحلة دونما حسم كما فعلوا في مرحلتي الحداثة وما بعدها.

ويدعو صقر المبدع المسرحي العربي إلى تخطي مرحلة الإحساس بالهزيمة الداخلية والدونية الذاتية، التي ما انفكت تسيطر على شعوره، وتدفعه دائماً للنظر إلى تجارب الغرب ليس فقط من أجل دراستها، وتعلم أسباب نجاحها، بل ليكتفي فقط بنقلها نقلاً حرفياً دونما دراية بكيفية تحقيق مثلها. ويرى الناقد المسرحي الجزائري يوسف الحمدا، في سلسلة مقالات بعنوان "المسرح والعولمة: الواقع والمبشر"، أن العولمة متى ما استثمرت من الجانب المعرفي الخلاق لدى المسرحيين من الممكن أن تكون أكبر وأهم بيئة ديمقراطية يتنفس فيها المسرحيون رؤاهم.

ويقترح من الباحث الفرنسي ميشيل كورفان قوله "إن إيجابيات العولمة في مجال المسرح هي انفتاح المسرح على العالم، الذي أصبح صغيراً ومؤمراً من خلال وسائل الاتصال"، ويعلق على ذلك بأن كورفان قال انفتاحا وليس انصهاراً أو ذوباناً كما تروق العبارة لكثير من منظري العولمة، الذين يريدون أن يتوصلوا إلى نتيجة مفادها، باختصار شديد، موجو

العولمة لثقافتنا وهويتنا، تعاماً، حتى وإن تعددت مفاهيم هذه الثقافات والهويات في مجتمعاتنا العربية أو امتلكت قابلية التعدد. ويذهب الحمدا إلى أن الميزة الأهم، التي أنتجت العولمة، ربما هي التحول والتجدد اللذين الدائم، الأمر الذي يجعلنا أمام تحديات غير عادية في المسرح، ذلك أنها تقترح علينا إيقاعاً آخر



عواد علي
كاتب عراقي

شهدت الثقافة المسرحية في العالم العربي خلال العقود الأخيرة جدالاً واسعاً حول موضوع المسرح والعولمة، وقد خصصت له محاور بحثية ونقاشية في العديد من الندوات والمناقشات التي رافقت مهرجانات مسرحية محلية وقومية ودولية في بعض العواصم العربية، أسهم فيها نقاد وباحثون ومسرحيون بأوراق تناولت الموضوع من جوانب مختلفة.

كما نشرت في هذا الصدد دراسات ومقالات في دوريات ثقافية وصحف يومية قدمت وجهات نظر متباينة حول حتمية الظاهرة، سلبياتها وإيجابياتها، من منظور تأثيرها على الخصوصية أو الهوية، فضلاً عن إشكالياتها الاصطلاحية.

العولمة والعالمية

العولمة في سياقها المسرحي جزء من العولمة في سياقها العام، الاقتصادي والتكنولوجي والسياسي والثقافي، فهي، في معناها الشامل، تعميم الشيء وتوسيع دائرته ليشمل العالم كله. وعلى الصعيد السياسي تعني الآن العمل على تعميم نمط حضاري، يخص بلداً بعينه أو قارة بعينها (أمريكا والغرب تحديداً)، على بلدان العالم أجمع.

وليست العولمة مجرد آلية من آليات التطور "التلقائي" للنظام الرأسمالي، بل، أيضاً، وبالدرجة الأولى دعوة إلى بني نموذج معين يعكس إرادة الهيمنة على العالم، كما يقول محمد عابد الجابري. لكن العولمة شيء والعالمية شيء آخر. العالمية تفتح على العالم، على الثقافات الأخرى، مع الاحتفاظ بالاختلاف الثقافي وبالاخلاف الأيديولوجي. أما العولمة فهي نفي للأخر وإحلال للاختراق الثقافي محل الصراع الأيديولوجي.

ماذا يمكن أن نستفيد به من إمكانات العولمة في المسرح؟

استثمار معرفي

يعتقد الباحث المسرحي الأكاديمي المصري أحمد صقر، في دراسة له بعنوان "المسرح بين التجريب والعولمة"، أنه "من الممكن الاستفادة من إمكانات العولمة الإيجابية، وأن يعكس ذلك على إنتاجنا، لكن إن نحن أدركنا ما نحتاجه

